حج الحياة الحقيقية في الله في موسكو ، 2-10 أيلول 2017

كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم؟

المطران أنيل كوتو
رئيس أساقفة دلهي - الهند
الكنيسة الكاثوليكية الرومانية

واحدة من أروع النعم الّتي أنعم بها الله على الحركة المسكونية لوحدة الكنيسة في ال50 سنة الماضية هو إدراك أن وحدة الكنيسة هي من أجل وحدة البشرية جمعاء واستقامة خلق الله. وبهذا المعنى لا يمكن فصل المسكونية عن ضرورة قيام المجتمع المسيحي بالحوار مع الديانات الأخرى وحتى الأيديولوجيات من أجل تحقيق ملكوت الله هنا على الأرض تحقيقًا لأمر المسيح بأن يُعلن "الخبر السار" (أي الأنجيل) للعالم أجمع.

ويسعدني أن يكون لدينا إخوة وأخوات من الديانات الأخرى في هذا الحج المسكوني، ونحن جميعًا نسير معًا كحجاج متعاونين في رحلتنا المشتركة نحو وطننا الأبدي.

أود أن أشاطركم هنا جميعًا في هذا الحج خبرة حديثة من الهند - الأخبار الرائعة من مومباي الّتي نقلتها وسائل الإعلام في أعقاب الامطار الغزيرة والفيضانات الناتجة عنها في تلك المدينة وضواحيها في 28-30 آب. وقد تقطعت السبل بمئات الركاب بسبب توقف مرافق النقل - القطارات والباصات وسيارات الأجرة والعربات الهندية. لم يكن هناك أي وسيلة يمكن أن يصلوا بها إلى المنزل. وقد أضحت الطرق أنهارًا بين ليلةٍ وضحاها. وهكذا اضطر مئات الأشخاص إلى الفرار من منازلهم بسبب الفيضانات. وفي وقت الشّدة هذا، أُفيد بأن المعابد الهندوسية المحلية، والمساجد الإسلامية ومعابد السيخ، والكنائس المسيحية مع مؤسساتها فتحت أبوابها للترحيب واستيعاب أكبر عدد ممكن من الناس بصرف النظر عن الطبقة أو العقيدة؛ ليس ذلك فحسب، فإن الناس من جميع الأديان **معًا** رتّبوا الغذاء والفراش للذين تقطعت بهم السبل. كانت هذه اشارة رائعة من الحب والوحدة بين الأديان لقضية البشرية المتألّمة. وكانت شهادة الروحانية الحقيقية التي ينبغي أن تكون السمة المميزة لجميع الأديان. لم يسأل أحد عن هوية الآخر الدينية، ولكن الجميع اختبروا فرحة مشاركتهم في الإنسانية الواحدة.

وأحد السبل التي يمكننا من خلالها بناء جسور والعمل من أجل السلام هو أن نتكاتف معًا في خدمة الإنسانية. إن تعليم المهاتما غاندي عن اللاعنف (أهيمزا) لا يتكلم فقط عن تجنب العنف بل عن الحب الفاعل الذي هو الكفاح المستمر من أجل الحقيقة والعدالة (ساتياغراها). وتتركز فلسفة غاندي على كسر جدران الانقسام وبناء جسور الحب والوحدة والسلام في كل مكان، وخاصة مع أدنى الناس، وأقلّهم ومع الضائعين.

ومن المحزن جدا أن البشر منقسمون على أساس الطبقة والعرق والقبيلة والعقيدة إلى حد كره بعضهم البعض، والتمييز ضد بعضهم البعض بل وقتل بعضهم البعض. وهناك أيضا حروب بين الدول لحماية حدودها و "سلامتها الإقليمية". لقد شهد التاريخ الإنساني تزايد الأيديولوجيات التي ألّهت "الأُمّة" على حساب القيم الإنسانية الحقيقية للأُخوّة بين الجميع كما تُعلّمنا جميع الأديان ولا سيما إنجيل ربنا يسوع المسيح. فالنزعة القومية التي يُساء استخدامها لأغراض سياسية هي دائما مدمّرة، ولا سيما عندما تكون هذه القومية مرتبطة بالدين يمكن أن تتداخل مع حقوق الإنسان الأساسية وحرية الإنسان.

إنها صورة زائفة عن الدين عندما يصبح الدين أداة لنشر الكراهية والعنف في المجتمع، والأسوأ من ذلك عندما يتم تَسييسه لكسب الأصوات والفوز بالانتخابات باسم الدين. ومن الواضح أن المجتمع يُصبح مُستقطبًا في مثل هذه الحالات، فتسود الكراهية وعدم الثقة حيث ينبغي أن يكون هناك الحب والانسجام، والحس بالأُخوّة بين الشعوب.

وأودّ أن أشير هنا إلى رئيس أساقفة دلهي الراحل أنجيلو فرناندیز، والسعيد ذكره، الذي كان الرئيس المؤسس للمجلس العالمي للدين والسلام، و"محارب" عنيد من أجل السلام العالمي مع العدالة. وفي كتابه "مراجعة المجمع الفاتيكاني الثاني" (1997) كتب: "إن مشكلة السلام هي بالتأكيد أهم بند في جدول أعمال اليوم من تاريخ العالم. لقد وصلت البشرية إلى نقطة حرجة في تطورها، وهي ممزقة بين معضلة الاستمرار في سباق التسلح المجنون والتوازن في الإرهاب، ما يسمى الردع، أو الانتقال إلى أبعد من ذلك نحو مسارات التفاهم الأعمق والتكامل والأُخوّة على "كوكب الأرض الواحد والوحيد". إن السلام لا يعني فقط عدم وجود مشكلة؛ بل يعني الرفاهية الكلّية، كلّ ما يحقّق خير الشخص الأسمى. فهذا السلام يرتبط دائماً بالعلاقات الشخصية: علاقة الشخص مع ذاته، مع زملائه البشر ومع ربّ الجميع. إنه السلام الذي يُولَد مِن المصالحة بين الناس البعيدين، سواء بالفعل أو بالامتناع، عن الله والآخرين. فقط عندما يستطيع الناس العيش في سلام مع صانعهم يمكن أن يكون هناك سلام دائم في العلاقات الإنسانية. السلام مع الله، والسلام مع الذات، والسلام في قلب الفرد، والسلام في الأسرة والسلام بين البشر، كلّها تنتمي بعضها لبعض. فالسلام إذن هبة من الله وعمل إنساني، وليس غياب الحرب، ولا الحفاظ على توازن القوى. إنه مشروع عدالة وثمرة الحبّ. وهو ينجم عن الانسجام الّذي بناه في المجتمع البشري المؤسس (أي مؤسس السلام) ويتم تفعيله من قبل الناس، من كل الأجيال المتتالية، إذ يعطشون لعدالةٍ أكبر فأكبر. تحت مبنى منظمة العمل الدولية في جنيف، هناك نص مكتوب عليه: "إذا كنت تريد السلام فاعمل من أجل العدالة". ويجب أن يُبنى السلام على أساس القيم الإنسانية الأساسية: الحقيقة والعدالة والحرية والحبّ. إن من الضروريّ، لعملية بناء عالم أكثر إنسانية فعلاً، احترام غير مشروط وفعّال للكرامة الإنسانية والمساواة وحقوق الإنسان لكلّ شخص".

وفقط عندما نتعرف على الكرامة الإنسانية المعطاة من الله والمساواة بين الجميع، وقبول بعضنا البعض كإخوة، عندها فقط يصبح حكم العدالة عالميًا. العدالة تنمو من الحب وبدون الحب لا يمكن للعدالة أن تدوم. هذا ممكن لأن الحب هو قرار، فعل الإرادة، تلك القوّة الكبيرة داخلنا، والتي في شراكة مع الرّب، يمكن أن تحدث التغيير.

رئيس الأساقفة أنجيلو فرناندیز ربط دائما التنمية مع العدالة والسلام. كتَبَ، متحدثًا عن "الطريق نحو التنمية المتكاملة": "التنمية هو الاسم الجديد للسلام. وعلينا الآن أن ننظر عن كثب في العقبات التي تعترض الطريق، وفي العقبات التي تعترض سبيل السلام ونحن ندخل في الألفية الثالثة ... وإذا كان العالم قرية تتألف من 1000 شخص، فإن 60 سيملكون نصف الثروة، و 500 سيعانون من الجوع، و 600 سيعيشون في أحياء فقيرة وأكواخ و700 سيكون أُميّين. وهذا يختصر الموضوع. يعيش أكثر من ملياري شخص في حالة فقر، ويعيش مليار شخص في فقر مدقع. النساء والأطفال هم الضحايا الرئيسيون لهذا التشويه (أو التحوير). يموت 35000 طفل كلّ يوم بسبب الإهمال وسوء التغذية والعنف ولدينا 15 مليون لاجئ. وذلك بفضل نظام اقتصادي دولي ظالم يقوم على الجشع والربح حيت تأخذ القيم الأخلاقية والحس العادل المكان الأخير ... وكانت النتيجة الصافية لعدد كبير من العلل في المجتمع البشري الخلاف في الأسرة، وعدم الثقة بين الجماعات الدينية، والصراع والعنف بين المجموعات العرقية، والاحتكاكات والتوترات بين الدول. ولذلك، فإن الفقر يسمى شكلاً من أشكال الموت، الجسدية والثقافية. ومع ذلك، فإن أكبر مشكلة في العالم ليست الفقر، بل هو عدم اكتراث أولئك الذين يمكنهم التأثير على مسار الأحداث نحو الأفضل. يجب أن يأخذ السياسي الحقيقي وجهًا أكثر إنسانية في الألفية القادمة". وقال هذا قبل عشرين عامًا قبل أن ندخل الألفية الثالثة. وقد ساءت الإحصاءات اليوم. وقال رئيس الأساقفة أكثر: "هناك ثلاث قنابل تتدلّى فوق البشرية، القنبلة النووية، وقنبلة الجوع، وقنبلة أزمة الديون؛ والآن القنبلة البيئيّة. جميعها بحاجة للتفكيك فيما الحياة للمستقبل بدلاً من الموت". ألا نشعر اليوم بأن هذه الكلمات صحيحة، وأنّنا كأشخاص متديّنين ومسؤولين مدعوون للرد على التهديد الذي يلوح في الأفق؟

وهناك حاجة ملحة إلى اقتصاد قائم على الحاجة وليس على اقتصاد قائم على الجشع. وعلى حد تعبير المهاتما غاندي: " هناك ما يكفي في العالم لتلبية احتياجات الجميع ولكن لا يكفي لجشع شخص واحد". فالنمو الاقتصادي وحده ليس هو الحل وإنّما التنمية المنصفة والمستدامة والغير المرتبطة بالمصالح السياسيّة والاقتصادية للبعض، ولكنها تشمل النساء والأقليّات والسكان الأصليين والمهمشين.

جاء ربّنا يسوع المسيح إلى هذا العالم ك "رئيس السلام". عند ولادته أنشدت الملائكة نشيد السلام، قبل وفاته أعطانا هبة السلام وعند قيامته، كانت كلماته الأولى: "السلام معكم". لقد وضع لنا بوضوح تعليمه عن السلام: "طوبى لفاعلي السلام، فإنّهم أبناء الله يُدعون" (متى 5: 9). هذا التعليم، الّذي يُشكّل طريق الخلاص، يرتبط ارتباطاً وثيقًا بتعليمه عن الحبّ، والغفران والمصالحة، والامتنان، والتواضع، ونكران الذات على الصليب الّذي يؤدّي للقيامة.

ليُلهم روحه العالم ويقوده نحو اتّخاذ القرارات الصائبة الّتي تؤدّي إلى كمال الحياة وليس إلى الدمار والموت.

+ أنيل كوتو
رئيس أساقفة دلهي